نكبة الشعب الفلسطيني عام ١٩٤٨

ناهض زقوت

بعد انتصار بريطانيا على تركيا في الحرب العالمية الأولي (١٩١٤ ـ ١٩١٨)، كانت فلسطين من نصيبها حسب اتفاقية سايكس بيكو في عام ١٩١٦. وبدأ الاحتلال البريطاني في ممارسة العنصرية بحق السكان العرب الفلسطينيين، ومحاباة اليهود، تمهيدا لإنشاء الوطن اليهودي في فلسطين حسب وعد بلفور في ١٩١٧/١١/٢، لهذا قامت بأول إجراء لصالح اليهود بان عينت شخصية صهيونية هو "هربرت صموئيل" مندوبا ساميا لكي يمهد الطريق لاستيلاء اليهود على فلسطين.

فقام المندوب السامي "صموئيل" بإتباع سياسة إفقار العرب في فلسطين وإبعادهم عن الأرض حين أدرك مدى أهمية الأرض بالنسبة للفلاحين ، فشجعهم على الاستدانة من المرابين والتجار، حين عجز الفلاحون عن سداد تلك الديون أقيمت الحجوزات على محاصيلهم وأراضيهم، كما تم بيع تلك الأراضي نفسها لسداد تلك الديون، كما أصدر صموئيل أمراً بمنع تصدير المحصولات فكسدت الأثمان.

ولعبت حكومة الانتداب البريطاني دوراً بالغ الأهمية في نقل ملكية مساحات واسعة من الأراضي إلى اليهود بسن قوانين الأراضي وتطوير وتعديل القوانين الصادرة في العهد العثماني سابقاً. ومن القوانين المعدلة والمضاف إليها التي صدرت خلال فترة العشرينات، ومن هذه القوانين:

١. قانون تصحيح سجلات الطابو ١٩٢٠.
٢. قانون انتقال الأراضي ١٩٢٠.
٣. قانون انتقال الأراضي المحلولة ١٩٢١.
٤. قانون الأراضي الموات ١٩٢١.
٥. قانون محاكم الأراضي ١٩٢١.
٦. قانون الغابات ١٩٢٦.
٧. قانون نزع الملكية للأراضي ١٩٢٦.
٨. قانون تسوية حقوق الملكية ١٩٢٨.

وقامت حكومة الانتداب البريطاني بموجب قانون نزع الملكية بالاستيلاء على مساحات واسعة من أراضٍ عرب فلسطين إلا أنها لم تكتفِ بذلك لاسيما أنها وجدت كثيراً من الأراضي ليست ملكاً لأفراد يفرض عليهم الاتفاق أو يرغمون على قبوله ولكنها ملك لأسر عربية لذا

عمدت إلى سن قانون جديد أسمته قانون تسوية ملكية الأرض، وبهذا القانون أمكن الاستيلاء على الأراضي المشاع التي تملكها الأسر العربية، وتم تسليمها لليهود عن طريق تحويلها من صنف ميري إلى صنف ملك.

ونذكر أن أكثر من ٤٥% من مساحة فلسطين هي أراضي بيد الحكومة أي أراضي بور وأميرية وتبلغ مساحتها (١٢,١١٤,٥٠٠) دونم من مساحة فلسطين البالغة (٢٦,٤٠٥,٢٦٦) دونم، وهذا ما سهل على الدولة المنتدبة استيعاب أعداد كبيرة من المهاجرين اليهود.

وقد بلغ ما اشتراه اليهود من حكومة الانتداب البريطاني (٥٠٠ ألف) دونم منها (٢٠٠ ألف) دونم دون مقابل، كما تمكن اليهود من شراء مساحة (٦٢٥ ألف) دونم من العرب غير الفلسطينيين الذين كانت لهم أملاك في فلسطين (وهي عائلات لبنانية وسورية)، وهذه الأراضي الموزعة على النحو التالي:

١. أراضي مرج بن عامر مساحتها ٤٠٠ ألف دونم كانت تضم ٢٢ قرية عربية اضطر سكانها البالغ عددهم ٩٠٠ عائلة عربية على الرحيل منها.

٢. أراضي امتياز الحولة ١٦٥ ألف دونم.

٣. أراضي وادي الحوارث ومساحتها ٣٢ ألف دونم.

٤. قطع أراضي في مناطق الناصرة وصفد وعكا وبيسان وجنين وطولكرم ومبلغ مجموع مساحتها ٢٨ ألف دونم.

وأخذ اليهود يسعون لدى الحكومة البريطانية لمنحهم امتيازات المشاريع الاقتصادية في فلسطين حتى يتمكنوا من السيطرة على الموارد الاقتصادية كخطوة أولى باتجاه بناء الوطن القومي، وعلى هذا الأساس قامت حكومة الانتداب بمنح اليهود عدداً من الامتيازات الاقتصادية تمثلت في ثلاثة مشاريع كبيرة هي:

١ـ امتيازات روتنبرغ ١٩٢١ (امتياز نهر العوجا) وما تبعه من الامتياز الذي حصلت عليه شركة الكهرباء الفلسطينية لتوليد الطاقة الكهربائية من نهري الأردن واليرموك عام ١٩٢٦.

٢ـ امتياز شركة البوتاس الفلسطينية عام ١٩٣٠ لاستخراج الأملاح والمعادن من البحر الميت.

٣ـ امتياز تجفيف مستنقعات الحولة عام ١٩٣٤.

كما قامت الحكومة البريطانية بفرض الضرائب الباهظة التي أرهقت بها كاهل الفلاحين في فلسطين، ولسداد هذه الضرائب اضطر الفلاحون لبيع أراضيهم والتنازل عنها بدلاً من الضرائب التي لا يستطيعون دفعها للحكومة البريطانية.

واستمرت الحكومة البريطانية في سياستها المرسومة من حيث تسهيل هجرة اليهود وانتقال الأراضي وتهويد البلاد، الأمر الذي أدى إلى توجيه كفاح العرب الوطني في المحافظة على بلادهم ضد الإنجليز بصورة مباشرة على أساس أنهم أصل البلاء في فلسطين .

ففي عام ١٩٣٦، انفجرت الثورة العربية الكبرى لعرب فلسطين ضد الحكومة وضد اليهود، مما دفع بالحكومة البريطانية بإرسال لجنة أخرى للتحقيق في أوضاع البلاد ودراسة أسباب ثورة ١٩٣٦، وهي لجنة اللورد بيل في ١١ نوفمبر عام ١٩٣٦، وأوصت اللجنة في تقريرها الصادر في ٧ يوليو عام ١٩٣٧ بوجوب إنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين، وتقسيمها إلى دولتين عربية ويهودية، وضم الأراضي المخصصة للعرب إلى إمارة شرق الأردن. ورفض العرب هذا التقرير وما جاء فيه من تقسيم لما فيه من هدر صريح لحقوقهم الطبيعية والسياسية.

وتواصل المد والجزر بين حكومة الانتداب البريطاني من جهة والعرب الفلسطينيين من جهة أخرى، إلى أن أصبحت الأرض جاهزة ليتسلمها اليهود، فأعلنت حكومة الانتداب قرارها بالانسحاب من فلسطين في ١٩٤٨/٥/١٥، وذلك بعد أن أعلنت الأمم المتحدة قرارها رقم ١٨١ لسنة ١٩٤٧ الخاص بتقسيم فلسطين إلى دولتين والقدس منطقة دولية، وقد وافق اليهود على قرار التقسيم، في حين رفضه العرب الفلسطينيون.

وبدأت العصابات الصهيونية المسلحة عملياتها الإجرامية بحق السكان قبل انسحاب القوات البريطانية، وتحت سمعهم وبصرهم، وفي كثير من الأحيان مساندتهم. فقد وقعت مذبحة قرية دير ياسين في ١٩٤٨/٤/٩ قبل رحيل القوات البريطانية.

خاض الفلسطينيون النضال والكفاح ضد العصابات الصهيونية المسلحة دفاعا عن أنفسهم وقراهم ومدنهم، وسقط منهم الشهداء والجرحى، ومن أهم المعارك التي خاضوها:

ـ **معركة باب الواد في القدس:** وقعت المعركة في ١٩٤٨/٣/٢٨، حيث هاجمت قوة من المناضلين الفلسطينيين قافلة يهودية على الطريق بين القدس ويافا، ونشبت معركة شديدة بين الطرفين أسفرت عن مقتل (٦٠) يهوديا، وجرح (٨٠) آخرين، وغنم المناضلون كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر.

ـ **معركة حي الشيخ جراح بالقدس:** وقعت في ١٩٤٨/٤/١٣، حيث هاجم المناضلون الفلسطينيون قافلة يهودية أثناء مرورها بالقرب من الحي ونشبت معركة حامية بين الطرفين، أسفرت عن مقتل (١٢٠) يهوديا، واستشهد من المناضلين (١٢) شهيدا.

ـ **معركة الصبيح في الناصرة:** وقعت في ١٩٤٨/١/٣، هاجم أبناء عشيرة الصبيح عددا من اليهود، فقتلوا منهم (٧)، وحين طلب اليهود النجدة، تنادى العرب للقتال فجاءت النجدات من

القرى المجاورة، وهاجموا المستعمرة المجاورة وتمكنوا من السيطرة عليها وقتلوا نحو (٢٠) يهوديا، وجرحوا (٢٠) آخرين، وتدخل الصليب الأحمر لنقل جثث اليهود من أرض المعركة.

ـ معركة ظهر الحجة في الخليل: وقعت في ١٨/ ١٩٤٨/١، هاجمت مجموعة من اليهود قرية صوريف، فخرج لهم سكان القرية والمناضلون بأسلحتهم البسيطة واستطاعوا محاصرتهم في جبل ظهر الحجة، وتمكنوا من إبادتهم، حيث بلغ عددهم نحو (٤٠) يهوديا. وفي اليوم التالي حين حضرت قافلة يهودية لنقل الجثث، تجددت المعركة بينهم لساعات، أسفرت عن مقتل (٢٣) يهوديا، واستشهاد (٧) من المناضلين الفلسطينيين.

ـ معركة القسطل في القدس: وقعت في ١٩٤٨/٤/٤، بعد أن تمكنت قوات الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني من السيطرة على القدس وأحرزت تلك القوات انتصارات مهمة في خارج القدس، كنصب كمائن ناجحة ضد القوات الصهيونية، ومقر الوكالة اليهودية في القدس، ونسف شركة صحافة القدس، وعدة صحف صهيونية، والوكالة اليهودية للأنباء، ووكالة اليونايتد برس وما جاورها في مدينة القدس، كما نسفوا شارع هاسوليل، وشارع بن يهودا، وحي مونتفيوري، وهاجمت قوات الجهاد المقدس العديد من المستعمرات اليهودية.

تقدمت قوات يهودية معززة بالقذائف والطائرات واحتلت قرية القسطل الإستراتيجية، إلا أن المناضلين لم يستسلموا فعادوا إلى تجميع أنفسهم ومهاجمة اليهود في القسطل مرة أخرى، ودارت معركة شرسة بين الطرفين، ورغم خسائر المناضلين إلا أنهم تمكنوا من إحداث خسائر كبيرة لدى اليهود، ولكنهم لم يستطيعوا احتلال القرية لقوة سلاح اليهود وطائراتهم، فخرج القائد عبد القادر الحسيني ليطلب النجدة من الجيوش العربية إلا أنها لم تستجب لطلبه، فقرر العودة للقتال بما يملكه من سلاح، وخاض المعركة إلى أن نفذت ذخيرة المناضلين، واستشهد عدد منهم، وفي يوم ١٩٤٨/٤/٨، عاد القائد عبد القادر مع نفر من المناضلين للهجوم على استحكامات اليهود إلا أنهم تمكنوا منه وسقط شهيدا على أرض القسطل.

ـ معركة بيت دراس في غزة: هاجم اليهود قرية بيت دارس أكثر من مرة وردوهم الأهالي والمناضلون على أعقابهم، إلا أنهم في أوائل أيار/ مايو ١٩٤٨ عادوا بأعداد كبيرة وبسلاح حديث لاحتلال القرية، واخذوا في قصفها بالقذائف، واستبسل المناضلون في الدفاع عنها، وقد جاءتهم نجدات من قرى أسدود وحمامة والسوافير والبطاني والفالوجة والمجدل المجاورة، لكي يساهموا في الدفاع عن القرية، وخاض المناضلون المعركة مع اليهود بسلاحهم البسيط، وتمكنوا من دحرهم وقتل نحو (٢٤٠) يهوديا، وجرح (٢٢) آخرين، واستشهاد (٨) من المناضلين.

ومن المعارك الأخرى التي خاضها المناضلون الفلسطينيون وابلوا فيها بلاء بطوليا: **معركة حي مونتفيوري بالقدس** (١٩٤٨/٢/١٢)، **ومعركة بيت سوريك بالقدس** (فبراير/ شباط

١٩٤٨)، **ومعركة بيت صفافا بالقدس** (١٩٤٨/٢/٦)، **ومعركة يافا** (ابريل/ نيسان ١٩٤٨)، **ومعركة حيفا** (ابريل/ نيسان ١٩٤٨)، **ومعركة صفد** (مايو / أيار ١٩٤٨)، **ومعركة عكا** (مايو / أيار ١٩٤٨)، **ومعركة محور الفالوجة في غزة** (١٣ و ١٩٤٨/٣/١٧)، **ومعركة دوار المجدل في غزة** (١٩٤٨/٣/١٧)، **ومعركة جولس في غزة** (١٩٤٨/٣/٢٢)، **ومعركة محور برير في غزة** (١٩٤٨/٣/٣١)، وغيرها الكثير.

وقد ارتكبت المنظمات الصهيونية نحو (٥٠) مذبحة ضد أبناء الشعب الفلسطيني عام ١٩٤٨، سقط فيها العشرات من الشهداء والجرحى، في محاولة منها للقضاء عليهم وترويعهم وبث الذعر والخوف في نفوس الآخرين من أبناء القرى والمدن الفلسطينية التي مازالت تناضل ضد اليهود. ومن أهم المذابح التي ارتكبت:

مذبحة منصورة الخيط في صفد (١٩٤٨/١/١٨)، **ومذبحة الطيرة في طولكرم** (١٩٤٨/٢/١٠)، **ومذبحة سعسع في صفد** (١٩٤٨/٢/١٤)، **ومذبحة الحسينية في صفد** (١٩٤٨/٣/١٦)، **ومذبحة دير ياسين في القدس** (١٩٤٨/٤/٩)، **ومذبحة قالونيا في القدس** (١٩٤٨/٤/١٢)، **ومذبحة اللجون في جنين** (١٩٤٨/٤/١٣)، **ومذبحة ناصر الدين في طبريا** (١٩٤٨/٤/١٤)، **ومذبحة تل لتفنسكي في يافا** (١٩٤٨/٤/١٦)، **ومذبحة هوشه في حيفا** (١٩٤٨/٤/١٦)، **ومذبحة مدينة حيفا** (١٩٤٨/٤/٢٢)، **ومذبحة الرامة في عكا** (١٩٤٨/٤/٢٢)، **ومذبحة الخيرية في يافا** (١٩٤٨/٤/٢٥)، **ومذبحة عين الزيتون في صفد** (١٩٤٨/٥/٢)، **ومذبحة بيت الخوري في طبريا** (١٩٤٨/٥/٥)، **ومذبحة عرب الصبيح في الناصرة** (١٩٤٨/٥/٦)، **ومذبحة خبيزة في حيفا** (١٩٤٨/٥/١٢)، **ومذبحة برير في غزة** (١٩٤٨/٥/١٢)، **ومذبحة أبو شوشة في الرملة** (١٩٤٨/٥/١٤)، **ومذبحة بيت دراس في غزة** (١٩٤٨/٥/٢١)، **ومذبحة الطنطورة في حيفا** (١٩٤٨/٥/٢٢)، **ومذبحة مدينة الرملة** (١٩٤٨/٦/١)، **ومذبحة جمزو في الرملة** (١٩٤٨/٧/٩)، **ومذبحة مدينة اللد في الرملة** (١٩٤٨/٧/١١)، **ومذبحة الطيرة في حيفا** (١٩٤٨/٧/١٦)، **ومذبحة المثلث الصغير في حيفا** (١٩٤٨/٧/٢٥)، **ومذبحة الدوايمة في الخليل** (١٩٤٨/١٠/٢٩)، **ومذبحة عيلبون في طبريا** (١٩٤٨/١٠/٣٠)، **ومذبحة فراضية في صفد** (١٩٤٨/١٠/٣٠)، **ومذبحة صلحة في صفد** (١٩٤٨/١٠/٣٠)، **ومذبحة البعنة ودير الأسد في عكا** (١٩٤٨/١٠/٣١)، **ومذبحة أبو زريق في حيفا** (١٩٤٨/١١/١)، **ومذبحة عرب المواسي في طبريا** (١٩٤٨/١١/٢)، **ومذبحة مجد الكروم في عكا** (١٩٤٨/١١/٥)، **ومذبحة أم الشوف في حيفا** (١٩٤٨/١٢/٣٠)، **ومذبحة الصفصاف في صفد** (١٩٤٨/١٢/٣٠)، **ومذبحة جيز في الرملة** (١٩٤٨/١٢/٣١).

*****

وبتأثير من ويلات الحرب والخوف من الذبح والقتل، ومن الممارسات الإرهابية للمنظمات الصهيونية المسلحة، خرج ما يقارب المليون فلسطيني، من بيوتهم وأملاكهم وأرضهم، بحثا عن الأمن والسلامة في دول الجوار العربي (لبنان، وسورية، والأردن)، ومنهم من لجأ إلى مناطق داخل الوطن (الضفة الغربية، وقطاع غزة، وأراضي ٤٨)، ومنهم من هاجر إلى العراق ودول الخليج العربي والسعودية، ومنهم من هاجر إلى البلدان الأوروبية والأمريكية.

وتمكنت المنظمات الصهيونية المسلحة حتى ١٩٤٨/١٠/٣١ من السيطرة على ٧٨% من أراضي فلسطين، كما قامت بتدمير وهدم نحو (٤١٨) قرية فلسطينية، تعود إلى (١٤) قضاء فلسطيني، بالإضافة إلى (١٠) مدن فلسطينية لم يدمروها بل اسكنوا القادمين الجدد من اليهود في بيوت العرب الذين طردوا من بيوتهم وأملاكهم بقوة السلاح والإرهاب.

وفي ١٩٤٨/١٢/١١ أصدرت الأمم المتحدة قرارها رقم (١٩٤)، الخاص بعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم. وجاء نص القرار كالتالي: "تقرر وجوب السماح بالعودة، في أقرب وقت ممكن، للاجئين الراغبين في العودة إلى ديارهم والعيش بسلام مع جيرانهم، ووجوب دفع تعويضات عن ممتلكات الذين يقررون عدم العودة إلى ديارهم وعن كل مفقود أو مصاب بضرر، عندما يكون من الواجب، وفقاً لمبادئ القانون الدولي والإنصاف، أن يعوض عن ذلك الفقدان أو الضرر من قبل الحكومات أو السلطات المسؤولة".

ولم يستطع المجتمع الدولي أن يجبر إسرائيل على تنفيذ هذا القرار الدولي الذي ينص بكل وضوح وصراحة على عودة اللاجئين إلى ديارهم التي هجروا منها عام ٤٨، ومازال اللاجئون بعد اثنين وستين عاما ينتظرون حق عودتهم إلى ديارهم وأملاكهم.

تلك هي النكبة، فالنكبة الفلسطينية في عام ١٩٤٨، لا تعني الهزيمة العسكرية للجيوش العربية والشعب الفلسطيني، واحتلال الأرض، فالهزيمة العسكرية قد تحدث لأي دولة تدخل في حرب في دولة أخرى. أن ما حدث عام ١٩٤٨ لم يكن حرباً بين دولة ودولة أخرى، بل كانت حرب بين عصابات مسلحة شبه منظمة وشعب آمن مستقر في أرضه، أعزل من السلاح، إلا ما ندر. لهذا فالنكبة في مفهومها العميق هي تهجير الفلسطينيين من وطنهم، ودفعهم بقوة السلاح والإرهاب إلى خارج وطنهم، لتخلوا الأرض من السكان، من أجل استقدام آخرين ليحلوا مكانهم، تلك هي النكبة الحقيقية للشعب الفلسطيني .

وقد شكلت النكبة الفلسطينية، بل نكبة الأمة العربية، نقطة تحول جذرية في حياة الشعب العربي الفلسطيني، ماضيه وحاضره ومستقبله. ومازالت آثار تلك النكبة ماثلة، وتأثيراتها في الأمة العربية قائمة. وكل ما يحدث اليوم للأمة من مآسي وويلات ونكبات جديدة، تعود في جذورها إلى نكبة فلسطين.

This document was created with Win2PDF available at http://www.daneprairie.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.